

بسم الله الرحمن الرحيم

من معوقات التعريب في الوطن العربي وسبل تذليلها

نحاول في هذا البحث الموجز أن نقف على أهمية إعداد اللغة القومية الأم في حياة الأمة، ثم نسلط الأضواء على معوقات التعريب في الوطن العربي، ونبين أخيراً سبل تذليل هذه المعوقات.

أولاً . أهمية اللغة الأم

طالما تغنى المفكرون والفلاسفة كل منهم بلغته الأم، فهذا هو ذا الفيلسوف الفرنسي باسكال يقول: «إن وطني هو اللغة الفرنسية»، وكان ديغول معجباً بهذا القول ويرى فيه أمانة على الانتماء وعلى الشخصية الفرنسية والذاتية الثقافية وهوية الأمة الفرنسية.

وها هو ذا: «هيدجر» الألماني يقول: «إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها وبعيوتها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح».

ويرى شاعر صقلية الإسباني «أخبازيوبوتنيا»: «أن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرذم بيوتها، وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر ويستعبد عندما يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذ يضيع إلى الأبد».

ويتغنى رسول حمزاتوف في كتابه «داغستان بلدي» بلغته الأم قائلاً: «إيه يا لغتي الأم، لا أدري إن كنت راضية عني، إنما أنا أحيا بك، وبك أعتمز، وكما يندفع ماء الينبوع من الأعماق المعتمة إلى النور حيث الحضرة، كذلك كلمات لغتنا الأم تندافع من قلبي إلى لساني لتهمسك

شفتاي وأنا أنصت إلى همسي، أنصتُ إليك يا لغتي الأم، فيبدو لي أن نقرأ جليلاً يهدُر في مضيق شاقاً طريقه. أحب هدير الماء، وأحب رنين الفولاذ الدمشقي حين يلتقي خنجران استلا من غمديهما، كل هذا موجود في لغتي، كما أحب أيضاً همسات الحب».

ويؤكد حمزاتوف أنه يجب أن نحافظ على لغتنا حفاظنا على تراب وطننا، كما أن القائد الفيتنامي «هوشي مينة» ينصح أبناء أمتة قائلاً: «حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذارٍ من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية».

وترجع أهمية اللغة الأم بالنسبة إلى أي شخصية قومية إلى أمرين أساسيين أولهما أنها عنوان على أنها أحد ملامح الشخصية الرئيسة التي تعرف بها بين الآخرين، وثانيهما أنها النافذة التي تطل فيها الشخصية على تاريخها وحضارتها وقيمها وثقافتها.

ولهذا إذا تخلت أمة عن لغتها، أو سمحت للضعف أو العبث أن يشوه صورتها ويهز حقيقتها، فإنها سائرة إلى الاضمحلال والزوال لا محالة، فلا يتصور أحد مثلاً أن يكون الإنجليز بغير اللغة الإنجليزية، ولا أن يكون الفرنسيون بلغة تمتزج فيها الإنجليزية بالفرنسية، ومن باب أولى لا يتصور أحد أن يترك الألمان لغتهم للضعف. «وليس الأمر مقتصرًا على الإنجليز والفرنسيين والألمان، وإنما هو شأن كل الأمم التي تحترم شخصيتها، وتحرض على مقوماتها، فلا نكاد نعرف أمة ذات شأن وتاريخ تترخص في أمر لغتها بالسماح بإشاعة الضعف فيها أو العبث بها، فضلاً عن إهمالها والتخلي عنها، واصطناع لغة أجنبية أخرى مهما تك هذه اللغة من القوة والانتشار، ومهما كان أهلها من التقدم والتحضر والتفوق»⁽¹⁾.

وإن لغتنا العربية الفصيحة الأم تأتي في الصدارة من المقومات المعنوية المميزة والمحددة للشخصية العربية، وتمثل أهم مقومات هذه الشخصية، وعليها يبني الطابع الذي يميزنا نحن العرب، شأننا في ذلك شأن كل الأمم الأخرى.

(1) الدكتور أحمد هيكل . ندوة اللغة العربية بين الواقع والمأمول . الجمعية الخيرية الإسلامية . القاهرة، مارس 2001 . ص104.

وإذا كانت اللغة في الصدارة من المقومات المعنوية لأي شخصية قومية، فلائها اللسان المعبر عن كل ما عداه من المقومات الأخرى، فهي التي تسجل تاريخ الشخصية القومية، وتتحدث بحضارتها، وتعبّر بأدبها وتراثها عن قيمها وحركة عقلها ونبض قلبها، وهي وسيلة التواصل الفكري والروحي بين أبناء الأمة من جهة، ووسيلة تعرفهم حين يعبرون عن أنفسهم من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة فرقاً بين لغة الأم واللغة الأم، فقد تكون لغة الأم اللهجة العامية أو لغة شريحة نسبتها ضئيلة في المجتمع. أما اللغة الأم فهي اللغة الموحدة لأبناء المجتمع كافة، فهي اللغة القومية المعبرة عن ذاتية الأمة وعمقها الحضاري، وهي بالنسبة إلينا اللغة العربية، رمز كياننا القومي وعنوان شخصيتنا العربية ومستودع تراث أمتنا، وبطريقتها يتعرف الأبناء والأحفاد ما خلفه لهم الآباء والأجداد في مختلف ميادين المعرفة، فيزدادون اعتزازاً بحضارة أمتهم وتقديراً لأسلافهم، وما أسهموا به في مسيرة الحضارة البشرية، فتكون معرفة الماضي عامل حفز لهم إلى الأمام. وليست وحدة اللغة ترفاً من الترف، ولا نزعة من النزعات العابرة، وليست تقديراً للماضي، ولا إكباراً له، ولكنها حرز للمستقبل أيضاً.

وما أجمل قول أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل في تأكيده أهمية اللغة العربية في وحدتنا القومية إذ يقول: «إن اللغة ليست شفاهاً تتحرك، ولا أصواتاً تلقى، وإنما هي روح تصنع الأفكار، وتصنع لها كذلك أوعيتها وتلوغها بها.. إن الجانب الفكري في اللغة هو جانبها المثمر، فاللغة هي التي تشكل عقولنا، وهي التي تنشئ عندنا مفاهيمنا، وهي التي تصنع سلوكنا، ثم هي التي تخلق وحدتنا: إنسانيين كنا أو قوميين، مؤمنين أو ملحدين، مجددين منتصرين للحديث أو مقلدين حريصين على القديم، محافظين أو ثوريين، غربيين أو شرقيين، عقليين أو عاطفيين، براجماتيين واقعيين أو مثاليين، جهويين أو وطنيين، أياً كنت أنت أو كنت أنا، أو كنتم أنتم أو نحن، فإن وحدة اللغة فيما بيننا، وما تسوق إليه هذه الوحدة بالضرورة، وتحذيرها، هو طريق تأصيل وجودنا وعودة الروح إليه بعد كل الذي أصاب هذا الوجود من جهالة أو تجهيل، ومن تشقق وتصدع!«.

ونسأل بعد هذا كله: ما دامت هذه الأهمية للغة الأم في وحدة الأمة فضلاً عن أهميتها الدينية والاجتماعية والتربوية وفي مجال الإبداع والابتكار، فلم لم تسد على نطاق الساحة القومية؟ ولم بقي التعريب متعثراً؟ هذا ما سنعرض له في القسم الثاني من هذا البحث.

ثانياً . من معوقات التعريب

ثمة معوقات عديدة للتعريب، وتتمثل هذه المعوقات في تبني نفر من أبناء الأمة ومن مثقفيها حجج أعدائها في عدم صلاحية اللغة العربية للتفجر المعرفي وعدم تمكنها من مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا»، كما تتمثل في التلكؤ في إصدار القرار السياسي في الدول العربية والفجوة بين ما تنص عليه دساتير هذه الدول وما يطبق على أرض الواقع، وفتور الانتماء تجاه اللغة الأم، والتشتت وغياب المنهجية في استعمال المصطلحات، وقلة التنسيق بين الجهات المعنية بوضع المصطلحات، وضعف نسبة الترجمة من العربية وإليها، والضعف في اللغتين العربية والأجنبية، والقصور في توظيف التقانة لخدمة العربية، وغياب المتابعة الجدية لتنفيذ توصيات مؤتمرات التعريب، وغياب التخطيط اللغوي، وفيما يلي تبيان لهذه المعوقات:

1. اعتماد نفر من أبناء الأمة لحجج أعدائها:

غني عن البيان أن جماعة الاتحاد والترقي في أثناء الاحتلال العثماني لبلادنا العربية حاولوا فرض اللغة التركية مكان اللغة العربية اعتماداً على سياسة التتريك التي انتهجوها وشقت طريقها إلى العملية التعليمية العلمية وإلى سائر قطاعات المجتمع، وما أن تحرر العرب من الاستبداد التركي حتى عاد للغة العربية ألقها بفضل جهود رجالات التعريب الأوائل، ولكنها ما لبثت أن تعرضت مجدداً للإقصاء في أثناء الانتداب الفرنسي في سورية والبريطاني في مصر.

وبعد أن حصلت بلادنا العربية على استقلالها، وتحررت من الاستعمار الغربي، وأخفق أعداء الأمة في فرض لغاتهم في أثناء احتلالهم للوطن العربي، راحوا يصمون لغتنا العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا»، وأنه إذا أراد أبناء

العربية اللحاق بركب العصر فما عليهم إلا أن يهجرُوا اللغة الفصيحة، ويعتمدوا العامية، ويكتبوا بالأحرف اللاتينية، ذلك لأن العامية عامل تفریق بين أبناء الأمة في حين أن الفصيحة عامل توحيد، ومن جهة أخرى راحوا يروجون للغتهم الأجنبية على أنها سبيل التقدم والارتقاء، ولغة الحضارة المعاصرة والعلم والتقانة «التكنولوجيا»، وهي لغة الشابكة «الانترنت» في الأعم الأغلب، إذ إن أغلب البحوث العلمية ومواقع الشابكة باللغة الإنجليزية، فهي اللغة العالمية التي لا بدّ لأبناء الشعوب الأخرى أن يعتمدوها في تعلمهم وبحثهم وشؤون حياتهم حتى يواكبوا روح العصر!

وإذا كان لأعداء الأمة غايات بعيدة يرومون من ورائها إبعاد لغتنا العربية الموحّدة والموحّدة عن الحياة لأنها اللغة القومية ولغة القرآن الكريم الذي حافظ على هذه اللغة من الضياع، وصانها من الاضمحلال والزوال على الرغم من الكوارث التي اجتاحت الأمة والنكبات التي ألمت بها، فإن من المؤلم حقاً أن يردد نفر من أبناء الأمة القيمين على بعض المؤسسات التعليمية الدعوات التي دعا إليها الاستعمار من قبل وأرباب العولمة حالياً، فينفذون بأيديهم ما عجز الاستعمار عن تنفيذه، فإذا هم بصنيعهم هذا يبعدون اللغة العربية عن التعليم الجامعي في الكليات العلمية وحتى في كليات العلوم الإنسانية، ونزولاً إلى مرحلة التعليم ما قبل الجامعي، وحتى رياض الأطفال.

ويتساءل أحدنا: لم يصغي نفر من أبناء أمتنا إلى دعوات يروج لها أجنب في أن لغة العلم حالياً هي اللغة الإنجليزية، وأن التعليم بها في المدارس والجامعات الرسمية والخاصة هو الحل لمجاعة عصر العولمة والاتحاق بركب التقدم والارتقاء متناسين أن التعليم باللغة الأم إنما هو الأساس للتقدم على مختلف الصعد تربوياً وثقافياً واقتصادياً وإبداعاً وابتكاراً و«أن المجتمع الذي لا ينجز نمضته في بلده بلغته الأم لا يتفاعل مع العولمة، ولا يجاري التطور في الاقتصاد والعلوم والفنون يبقى على هامش الحضارة الإنسانية ولا يسهم فيها، بل أكثر من ذلك يحجب التطور عن لغته ذاتها ما دامت بعيدة عن الاستخدام في المجالات الدينامية المتطورة والمتغيرة باستمرار مثل العلوم والفنون والاقتصاد»⁽¹⁾.

(1) الدكتور عزمي بشارة. تحويل الصراع على اللغة إلى صراع على الهوية. جريدة الحياة. العدد /16162/. تاريخ 5 تموز 2007.

2. التلكؤ في إصدار القرار السياسي:

إذا كانت دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية للدولة هي العربية فإننا نلاحظ أن ثمة هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع، وإذا كنا نحمل أعداء أمتنا مسؤولية تغييب لغتنا من قبل فإن المسؤولين في أمتنا مسؤولون أضعاف ما يتحمله الأعداء من مسؤولية، إذ إنهم لم يصدروا القرار السياسي الحاسم ويضعوا حداً لهذا التسيب اللغوي والخروج على دستور الدولة، فهذا هي ذي اللافتات والإعلانات تزخر بالكلمات الأجنبية، وهذا هو ذا المثقف يطعم كلامه بالمفردات الأجنبية دلالة على ثقافته العصرية، وهذا هي ذي الشركات على الأرض العربية تعلن عن حاجتها إلى موظفين يتقنون اللغة الأجنبية، وهذا هي ذي المعاملات والمراسلات في المطارات والمصارف تستخدم الأجنبية، وهذا هي ذي الأم في الطبقات الحريية تخاطب أولادها باللسان الأجنبي، وتترك تربيتهم للخدمات اللواتي لا يعرفن العربية.

ونلاحظ في الوقت نفسه أن العاملين والعاملات في دول الخليج العربي ومن جنسيات مختلفة ليسوا في حاجة إلى أن يتعلموا العربية لأنهم يقضون حاجاتهم، وينفذون متطلباتهم باستعمال الأجنبية مع أبناء العربية الذين تنازلوا عن لغتهم القومية ليتحدثوا مع هؤلاء بلسانهم أو بلسان أجنبي آخر، كما نلاحظ أن المؤتمرات العلمية التي تعقد في منطقتنا العربية تستخدم أحياناً اللغة الأجنبية على الرغم من أنها تعالج موضوعات عربية، كما أن ممثلينا في المحافل الدولية يستخدمون اللغة الأجنبية في مداخلاتهم ومناقشاتهم وإلقاء كلماتهم على الرغم من أن لغتهم العربية معتمدة بين اللغات العالمية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، ونسأل أنفسنا: كيف نطلب من الآخرين أن يحترمونا، ونحن لم نحترم أنفسنا وهويتنا ولغتنا المعبرة عن ذاتيتنا الثقافية وأصالة أمتنا⁽¹⁾.

ومن يلقى نظرة على واقع التعريب في العملية التعليمية التعلمية في أمتنا العربية يجد أنه موضوع قديم جديد، طرح في أمتنا خلال قرن كامل، وما يزال مطروحاً حتى هذه الساعة، في الوقت الذي حسمته أمم أخرى، عندما اعتمدت لغتها الأم في شؤون حياتها، ولم تكن للغاتها

⁽¹⁾ الدكتور محمود أحمد السيد . اللغة العربية وتحديات العصر . وزارة الثقافة السورية . دمشق 2008 . ص 106 .

عراق لغتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية، فهي هي ذي كوريا وفيتنام ورومانيا وبلغاريا وفنلندا واليونان... الخ تدرس بلغتها الوطنية في الوقت الذي نجد فيه على نطاق الساحة القومية أنه لا يوجد قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد، وهذا الإهمال يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والامية، ذلك لأن كل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد يتمثل في سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي، ولن يتم إصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على الصعيد القومي «ولن تجرؤ السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية على تبني الإصلاح لأنها تعتمد الازدواجية السياسية، فهي تحافظ في دساتيرها على اعتماد العربية الفصيحة لتكسب قدراً من الشرعية أمام جماهيرها، وتفسح في المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدر من التحديث أمام الآخرين، وتترك الحرية للهجات العامية لتضمن قدراً من الاستقلال الداخلي على حدّ تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي»⁽¹⁾.

وهكذا يتبدى لنا موضوع التعريب متمثلاً في «عدم اتخاذ القرار السياسي الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في العملية التعليمية التعلمية في الجامعات والمعاهد والمدارس وبقاء الأمور معلقة، واستمرار التخلف والتبعية، وعدم استنبات العلم عربياً، وتسبب لغوي قومي، وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه ثقافتنا القومية وتراثها الحضاري»⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن قضية التعريب ليست قضية لغوية فقط، وإنما هي قضية سياسية تفرض تحدياً قوياً على الأمة العربية، وخياراً بين البقاء في حالة من التبعية أو النهوض بالحضارة العلمية العربية من جديد لتمتكن الأمة العربية من مجابهة تحديات العصر العلمية، ذلك لأن التعريب يجب أن يؤدي إلى توطين العلم وتعريب الفكر والذهنية تفتيحاً للمواهب، ومساعدة على للابتكار.

3. التشتت وغياب المنهجية في وضع المصطلحات:

(1) عبد الله العروي. ثقافتنا في ضوء التاريخ. المركز الثقافي العربي. بيروت. ط2. 1988. ص28.

(2) الدكتور محمود أحمد السيد. في قضايا التعريب. دمشق 2002. ص22.

من يلق نظرة على واقع وضع المصطلحات في ثقافتنا العربية المعاصرة يجد أن ثمة بلبلية واضطراباً في وضع هذه المصطلحات، فثمة ميل إلى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد، أو ميل إلى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة، فترجمة كلمة Deduction تارة بالاستدلال وأخرى بالاستنتاج أو بالاستنباط، وترجمت كلمة «موبايل» تارة بالجوال، وتارة بالنقال، وتارة بالخلوي، وتارة بالجوّاب، وتارة بالمحمول. أما اللفظ الواحد الدال على المعاني المختلفة فنجد كلمات «Intelligence» و«Raison» و«Bon Sens» كلها ترجمت بكلمة «عقل»، وبعضهم يترجم كلمة «Intuition» بكلمة «حدس»، ويترجمها الآخر بالبداهة أو الانتباه أو الاستبصار، وكذلك كلمة «Conscience» فقد ترجمها بعضهم بالشعور، وبعضهم الآخر بالووعي أو الوجدان أو الضمير.

ويرى بعض الدارسين المعاصرين أن ثمة نقصاً في دقة التعبير عن المصطلحات الأجنبية الموضوعية باللغة العربية، ومن مظاهر نقص الدقة، التعبير عن عدة مصطلحات أجنبية بمصطلح عربي أو لفظ عربي واحد، فقد ترجم المصطلحات «Essence» و«Substance» بمصطلح عربي واحد هو جوهر، علماً بأن الأول يعني المادة لا الجوهر.

ومن مظاهر نقص الدقة في المصطلح العلمي عدم التوافق بين المصطلح وما يراد له من مدلول، فتوليد «مصعقة» في مقابل المصطلح الأجنبي «Paratonnerre» وهو اسم آلة من صعق للجهاز الذي يستقبل الصاعقة ويدراً خطرهما وأذاها غير دقيق، وسماها آخرون «مانعة صواعق»، والأدق أن تسمى «واقية صواعق» لأن هذا الجهاز لا يصعق ولا يمنع الصاعقة، وإنما يجذبها ويذهب بمفعولها، فهو يقي منها. أما المصعقة فهي تفيد عكس ذلك»⁽¹⁾.

ولقد أدى الاختلاف في ترجمة المصطلحات والتباين في استخدامها إلى ضروب من التشتت في المعاهد والجامعات والكليات والأقسام، كما أن لغياب المنهجية وجهاً آخر من وجوه تشتت الجهد أو سبب فيه.

وتتبدى الحاجة إلى المنهجية حين تواجه هذا الاختلاف بين اللغات الأجنبية في التعبير عن المصطلح الواحد، كما تتبدى حين يضطر النقل والتعريب والمجاز والوضع والنحت.

⁽¹⁾ الدكتور ممدوح خسارة. إشكالية الدقة في المصطلح العلمي. مجلة التعريب. دمشق. العدد السابع. حزيران 1994.

ومن الأمور التي أدت إلى اختلاف الوضع في المصطلحات أيضاً: «أن المبعوثين في الخارج عملوا بعد عودتهم والتحاقهم بالجامعة، ومنهم من تخرج في جامعات شرقية، ومنهم من تخرج في جامعات غربية، عمل كل منهم على وضع بعض المصطلحات الخاصة به، وقد يعمد إلى تغييرها بعد ذلك، وإذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالمصطلحات التي اختارها فما بالك بالمترجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون أنفسهم؟ وإذا كانت معاني المصطلحات تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تتضح وتفهم؟ مع الأخذ بالحسبان أن الألفاظ حصون المعاني وتثبيت المصطلحات العلمية هو الحجر الأساسي في بناء العلم»⁽¹⁾.

وإذا أضفنا إلى التشتت وغياب المنهجية في وضع المصطلحات عدم التنسيق بين الجهات العاملة في وضعها حتى في الجامعة الواحدة أدركنا الخطر الذي يسببه هذا المعوق في عملية التعريب على نطاق الساحة القومية.

4. الضعف في اللغتين العربية والأجنبية:

إذا كانت ركائز التعريب في العملية التعليمية التعلمية تقوم على التمكن من مادة الاختصاص والتمكن من اللغتين العربية والأجنبية فمن الملاحظ أن ثمة ضعفاً في إتقان اللغتين العربية والأجنبية لدى المدرسين والدارسين في الوقت نفسه، وأن ثمة شكوى من تديني مستوى الأداء اللغوي لدى الجانبين، وهذا الضعف هو عائق يحول دون الارتقاء بالتعريب في الجامعات العربية.

5. القصور في توظيف التقنية:

إن العصر الذي نحيا تحت ظلاله إنما هو عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا»، ولقد حلت الدول المتقدمة على توظيف التقنية في جميع شؤون حياتها في الوقت الذي نلاحظ فيه أن الدول النامية ما تزال تحبو في هذا المجال، وإذا كانت ثورة المعلوماتية قد جعلت القوة في يد الأمم العارفة فإن مجتمعنا العربي ما تزال الفجوة بينه وبين مجتمع المعرفة واسعة، وما يزال يسعى للتوجه نحو مجتمع المعرفة. وثمة نقص كبير في البرامج التربوية اللغوية على الشبكة «الانترنت»،

⁽¹⁾ الدكتور محمود السيد. في قضايا التعريب. مطبعة العجلوني. دمشق 2002. ص 148.

ويتمثل هذا القصور في برامج تعليم اللغة العربية لأبنائها وغير الناطقين بها، وفي برامج التعلم الذاتي وتأهيل معلمي اللغة العربية وتدريبهم، والترجمة الآلية والمعجمات... الخ، إضافة إلى النقص في توفر قاعدة معلومات عن الكتاب العلمي العربي.

ومن التحديات التي تواجهها اللغة العربية في ميدان المعلوماتية واستخدامها على الشبكة «الانترنت» تعدد مواصفات محارفها، إذ إن اللغة العربية تأتي في المرتبة الخامسة في العالم من حيث عدد المتكلمين بها، فهي تحيي قبل الفرنسية والألمانية واليابانية والإيطالية، ومع ذلك فقد اعتمدت مواصفات محارف هذه اللغات، وفرضت رسمياً، ولم يتحقق ذلك عربياً، وهذه الحال هي نفسها في كل المواصفات الأخرى لاستعمال اللغة العربية في جميع التطبيقات المكتوبة والمحلية⁽¹⁾.

وإن تعدد المواصفات يؤدي إلى إشكالات في الشبكة «الانترنت» وفي البحث في قواعد المعطيات وفي الإعلام، ويسبب العديد من الإشكالات في مجالات تعرف الحروف العربية، ولدى المدقق الإملائي، والمدقق الصرفي، والمدقق النحوي، وفي التحليل والتركيب، وتوليد النص الآلي، والترجمة بين اللغات، وتعرف الكلام وتركيبه، والفهم الآلي للنص⁽²⁾.

وتدل الإحصاءات على أن نسبة مستخدمي الشبكة من العرب لا تزيد على 1.4% وإن معظم هؤلاء المستخدمين العرب للشبكة يتعاملون مع مواقع غير عربية وخاصة إنجليزية وفرنسية، كما أن نسبة ما هو متوفر على الشبكة بالعربية لا تزيد على 1%، وبعضه كتب بالعامية في الأعم الأغلب، ويقوم بعض الشبان حالياً بكتابة اللغة العربية بأحرف لاتينية على مواقع الشبكة، بعد أن طوروا حروفاً و أرقاماً لاتينية تقابل حروف العربية من غير حاجة إلى استخدام الحركات، وما ذلك إلا مظهر من مظاهر الشعور لديهم بأن الحروف اللاتينية أرفع

(1) الدكتور محمد مراياتي. قضايا راهنة حول اللغة العربية والشبكة. مجمع اللغة العربية. دمشق 2006. ص 20.

(2) الدكتور محمود السيد. اللغة العربية وتحديات العصر. وزارة الثقافة السورية. دمشق 2008. ص 64.

من حروف لغتهم الأم، وما علموا أن هذا السلوك يؤدي إلى تغييب لغتهم، وفقدان هويتهم⁽¹⁾!!!

6. غياب المتابعة الجدية:

ما أكثر المؤتمرات والندوات التي عقدت على نطاق الساحة القومية لمعالجة قضايا التعريب! وما أكثر التوصيات والمقترحات التي خلصت إليها تلك المؤتمرات والندوات! وما أقل ما نفذ منها!

ويرجع السبب في عدم التنفيذ إلى عدم المتابعة الجدية، إذ ما إن ينتهي المؤتمر من أعماله حتى تتعرض تلك التوصيات إلى الإهمال من الجهات المنفذة، ولا لجان للمتابعة، ولا مسؤولية على من لم يرقم بالتنفيذ، وتبقى الأمور معلقة، وتتوالى المؤتمرات لينطلق بعضها من الصفر متحدثاً عن أهمية التعريب من دون الالتفات إلى التوصيات، وتعرف ما نفذ منها وما لم ينفذ، وتعرف الأسباب والمعوقات التي حالت دون التنفيذ.

كما أن المؤتمرات التي تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والتوصيات التي تنتهي إليها ليست ملزمة للدول الأعضاء ويا للأسف! ولكم نتمنى أن يكون لها صفة الإلزام ما دامت هادفة إلى خدمة الأمة والحفاظ على شخصيتها وهويتها وذاتيتها الثقافية متمثلة في لغتها.

7. ضعف الترجمة من العربية وإليها:

إذا كانت أمتنا العربية قد عنيت بالترجمة إبان ألقها الحضاري في العصر العباسي، فترجمت عن الثقافات المختلفة من يونانية وفارسية وهندية... الخ، وكانت ثمة مكافآت مجزية للمترجمين فإن أمتنا في حياتنا المعاصرة مقصرة أيما تقصير في نقل تراثها المشرق إلى الآخرين، وتعريف أبناء المجتمعات الأخرى بقيمة هذا التراث وغناه في مختلف ميادين المعرفة، كما أن ما ينقل إلى اللغة

(1) الدكتور محمود السيد. لغة الغالب والمغلوب... تفاعل أم تغييب؟. ندوة اللغة والهوية «دول الخليج العربي أنموذجاً» - الدوحة. فبراير 2009. ص 17.

العربية من الثقافات الأخرى محدود جداً، وتدل الإحصاءات على أن نسبة ما يترجم إلى العربية خلال عقود لا يعادل إلا جزءاً يسيراً مما تترجمه دولة كالإيونان أو إسبانيا في عام واحد.

8. غياب التخطيط اللغوي:

تعمل الأمم الحية على وضع سياسة لغوية للحفاظ على لغتها والعمل على سيرورتها وانتشارها في بلادها وفي خارجها، كما تعمل على وضع خطة لغوية في ضوء تلك السياسة، وتحرص على أن يقوم أبناء المجتمع بالالتزام بتلك الخطة ما دامت اللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية.

ولقد التزمت سورية العربية لغتها القومية في العملية التعليمية التعليمية منذ أن حصلت على استقلالها، وحتى إبان الانتداب الفرنسي، على الرغم من كل محاولات التضييق والتهميش التي تعرضت لها العربية إبان ذلك الانتداب، وظلت حريصة على العناية بلغتها فأصدرت القوانين في الخمسينيات من القرن الماضي والبلاغات في السبعينيات والثمانينيات والقرارات الرامية إلى تعزيز اللغة العربية في جميع مناحي الحياة، ثم أصدر السيد الرئيس بشار الأسد في عام 2007 قراراً بناءً على أحكام المرسوم التشريعي رقم 25/ لعام 1971 يقضي بتشكيل لجنة مهمتها إنجاز خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها، لارتقاء بها، ومتابعة خطوات التنفيذ بالتعاون مع الجهات المعنية.

وقامت اللجنة المشكلة بوضع الخطة، وتتابع تنفيذها مع الجهات المعنية، وحبذا لو تستأنس الدول العربية بتلك الخطة، وحبذا لو تضع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم خطة قومية للنهوض باللغة العربية على أن تستأنس بها الدول الأعضاء في وضع خططها الوطنية أيضاً.

9. فتور الانتماء:

من معوقات التعريب فتور الانتماء، إذ إن المعتز بلغته الأم لا يرضى بديلاً عنها في شؤون حياته كافة، وعلى أرضه، وتراب وطنه، فكيف إذا كانت لغته الأم هي اللغة العربية ذات العمق الحضاري في مسيرة الحضارة البشرية؟ وما هو ذا الكيان الإسرائيلي يقيم كيانه على إحياء اللغة العربية، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا

وأوروبا الشرقية عامة، وكانت لهذه اللغة آدابها، ولكنهم تركوها وآدابها ليحيوا لغة أخرى ماتت عملياً منذ ألفي سنة ألا وهي العبرية، وأين اللغة العبرية من العربية؟

لقد أعاد الكيان الإسرائيلي الحياة إلى لغته الميتة في تعليمه الرسمي والخاص وفي جميع شؤون حياته، وما هي ذي جامعاتها تدرس باللغة العبرية، وسمت الجامعة الأولى لديها الجامعة العبرية وليس اليهودية أو الإسرائيلية نسبة إلى اللغة والثقافة التي تريد إحياءها، ولا توجد في إسرائيل مدرسة واحدة تدرس بغير العبرية كما يقول الدكتور عزمي بشارة، ويشير إلى أن خبراء التخطيط الأمريكي أنفسهم يمتدحون التجربة الإسرائيلية في التعليم أمام مستمعهم العرب في الوقت الذي يشجعون فيه العرب على الانتقال إلى التدريس بالإنجليزية⁽¹⁾.

ولقد أكد المفكر الإيطالي «ليلوباسوا»: «أن من اجتثت منه لغته اجتثت منه الحياة، وعد كائناً منسياً غير مشخص، ضائعاً وسط جموع من كائنات منسية أيضاً وغير مشخصة، مسخراً لأشخاص لا يعرفهم، ونهباً لأحداث لا رقابة له عليها، ولقرارات لا يشارك فيها»⁽²⁾.

إلا أن الاعتزام باللغة الأم والحفاظ عليها لا يعينان الجمود والانغلاق، ونحن في عصر العولمة وانفتاح المجتمعات والثقافات بعضها على بعضها الآخر، إذ لا بدّ من تعلم اللغات الأجنبية وخاصة الإنجليزية إلى جانب الاعتزاز باللغة القومية وإتقانها.

ثالثاً . سبل تذليل المعوّقات

ما دامت المعوّقات التي تحول دون التعريب قد أصبحت معروفة في الأعم الأغلب، كان التركيز على تذليل هذه المعوّقات هو السبيل إلى تجاوزها، ويتمثل هذا التذليل في:

(1) الدكتور عزمي بشارة . تحويل الصراع على اللغة إلى صراع على الهوية . جريدة الحياة . العدد /16162/ . تاريخ 5 تموز 2007.

(2) عثمان السعدي . العبرة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي . جامعة الكويت . كلية التربية . قسم أصول التربية . ص5.

1. حسم موضوع التعريب بإصدار القرار السياسي اللازم:

والعمل على تطبيق ما تنص عليه دساتير الدول العربية من حيث إن اللغة الرسمية هي اللغة العربية في جميع مرافق الحياة تعليمياً وإعلامياً وتراسلاً... الخ، وليس ثمة أي مسوغ منطقي لهذا التريث وعدم الإقدام على فرض اللغة العربية، لغة الدستور، واللغة القومية، ولغة القرآن، واللغة الأم، في جميع مناحي الحياة، وها هي ذي الحجج والأدلة تشير إلى أن من يتعلم بلغة الأم هو الأجدى تربوياً واجتماعياً واقتصادياً وإبداعاً وابتكاراً، وليس ثمة ما يحول دون تدريس مقرر أو مقررين باللغة الأجنبية. أما أن يتخلى العرب عن لغتهم الأم في المدارس والجامعات الخاصة فهذا أمر مستغرب، ويصعب على مواطن ياباني أو فرنسي أو ألماني أن يفهم كيف يمكن أن يولد أطفال لوالدين فرنسيين أو يابانيين أو ألمانين... الخ ولكنهم لا يتحدثون لغتهم الأم لا في البيت ولا في المدرسة، ولا يدرسون العلوم في بلدهم بلغتهم الأم، فهذا أمر بدهي بنظر مواطن تلك البلاد، ومطلوب حتى من المهاجر من بلده، فكيف بالحري ممن ولد فيها؟

2. وضع خطة لغوية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها:

على غرار خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية في سورية، على أن يضطلع بإنفاذها جميع قطاعات المجتمع ولا يلقى التنفيذ على كاهل جهة واحدة، انطلاقاً من أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية، كما أن الحفاظ عليها مسؤولية المجتمع كله.

3. سرعة البت في وضع البديل باللغة العربية للمصطلحات الأجنبية:

ذلك لأن التمهّل يؤدي إلى الإهمال، ولأن في هذا التمهّل تعزيزاً لاستخدام المصطلحات الأجنبية وسيورتها على الألسنة والأقلام، وعندها يصبح من الصعوبة بمكان محوها. ولا بدّ من الاستعانة بأسلوب الفريق في وضع المصطلحات وتوليدها على أن يكون ثمة متخصصون في اللغة والترجمة والعلم نفسه... ولا بدّ أيضاً من الاتفاق على المصطلحات الموحدة والعمل على سيورتها وانتشارها في جميع مجالات الحياة، وللإعلام دور كبير في تعزيز استعمال هذه المصطلحات بالتنسيق بين مجامع اللغة العربية والجامعات.

4. إقامة دورات مكثفة للعاملين على الأرض العربية من أبناء الناطقين بغير العربية:

لتمكينهم من اكتساب أساسيات اللغة العربية بغية احترام لغتنا وثقافتنا، وعدم التنازل عنها للتخاطب مع هؤلاء العاملين باللغة الأجنبية أو بلغاتهم، وهم في أمس الحاجة إلى العمل في منطقتنا العربية وبخاصة في دول الخليج العربي.

5. تفعيل الترجمة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغات الأخرى:

وتخصيص الإمكانيات المادية اللازمة لهذه الترجمة، ودعم المركز العربي للتعريب والتأليف والترجمة والنشر وهو أحد المراكز المتخصصة على نطاق الساحة القومية، وتوفير الإمكانيات له أطراً وميزانية حتى يضطلع بالأدوار المنوطة به على الصعيد القومي.

كما أن على الجامعات العربية أن تأخذ بالحسبان الأعمال المترجمة في الترقية لأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات، وتخصيص جوائز في الجامعات والجامع والمراكز للكتب المترجمة التي تعتمد المصطلحات الموحدة إن في الجامع أو في مركز تنسيق التعريب، إذ لوحظ أن ثمة جامعات عربية لا تعد الترجمة عملاً علمياً يدخل في ترقية عضو هيئة التدريس من مرتبة إلى أخرى، وهذا ما أثر سلباً في حماسة أعضاء هيئة التدريس نحو الترجمة ما دام الجهد المبذول لا يدخل في الترقية، علماً بأن الجهود المبذول على درجة كبيرة من الأهمية.

وحبذا لو تستأنس جامعاتنا العربية بما قامت به الجامعات السورية عندما تشرط عند تعيين عضو هيئة التدريس في الجامعة أن يعمل على ترجمة أطروحته في الدكتوراه إلى اللغة العربية إغناء لعملية التعريب.

6. إعداد المدرسين الأكفاء:

إن المدرس الكفي المتمكن من مادة تخصصه ومن لغته الأم ومن اللغة الأجنبية يسهم إيماءً إسهام في التعريب، ولا بدّ من إضافة شرط آخر للمدرس الكفي وهو أن يكون مؤهلاً تربوياً، ذلك لأن المدرس قد يكون متمكناً من لغته، ومن مادة تخصصه، إلا أنه مخفق في إيصال مادته إلى طلابه بالأساليب التربوية الشائقة مما يؤثر في تحقيق الأهداف.

ولقد حصرت الجامعات السورية على توفير هذه الشروط كافة في إعداد مدرسي التعليم العالي، إذ لا ينقل المدرسون الجدد المتمرنون في جميع الاختصاصات من مرتبة إلى أخرى قبل أن يخضعوا لامتحان في العربية ويثبتوا نجاحهم فيه، كما أن من شروط التعيين في الجامعات والمعاهد المتوسطة وفي جميع الاختصاصات شرط النجاح في امتحان شفاهي وكتابي في اللغة العربية، وإحداث دورات تأهيلية في اللغة العربية والترجمة.

ولم تكتف الجامعات بهذه الإجراءات للنهوض باللغة العربية، وإنما عملت على أن جعلت سلامة اللغة العربية شرطاً ينص عليه في تقويم الإنتاج العلمي للترقية في سلم هيئة التدريس.

ومن الإجراءات التي تساعد على عملية التعريب في مجال إعداد المدرسين الأكفاء القادرين على التعليم بالعربية أن يتم انتداب أساتذة من الجامعات التي تتخذ التعريب للتدريس بالعربية في جامعات تسعى إلى التعريب وإلقاء محاضرات في هذه الجامعات لفترات كافية تشجيعاً للأساتذة المحليين، وكسراً للحاجز النفسي الذي يحسون به تجاه إلقاء محاضراتهم بالعربية، ولا بدّ هنا من تشجيع هؤلاء على الكتابة وإلقاء الدروس والمحاضرات والمشاركة في الندوات باللغة العربية الفصيحة وكتابة البحوث باللغة العربية أيضاً⁽¹⁾.

ومن بين هذه الإجراءات أيضاً تنظيم برنامج تبادل الزيارات بين مدرسي المادة الواحدة في الجامعات العربية، وحضور الأساتذة الذين يدرسون بالأجنبية إلى الجامعات العربية التي تدرس بالعربية للاطلاع على تجاربها والإفادة منها.

ولا بدّ من العمل على تخفيف الأعباء التدريسية والإدارية عن أعضاء الهيئة التدريسية وتوجيه جزء من نشاطهم إلى التعريب الذي سيؤدي بدوره إلى رفع مستواهم العلمي بصورة غير مباشرة.

ومن الإجراءات المساعدة أيضاً تشجيع المدرسين على مطالعة كتب التراث ذات العلاقة بتخصصاتهم لمدهم بمصطلحات علمية تعينهم على إغناء لغتهم في مجالات تخصصهم.

ولم تقتصر الإجراءات المتخذة في الجامعات السورية على مجال التمكين للغة العربية فقط، وإنما عنيت بالتمكين للغات الأجنبية، إذ تقرر تعليم اللغة الإنجليزية بدءاً من الصف الأول من

⁽¹⁾ الدكتور محمود السيد. في قضايا التعريب. مطبعة العجلوني. دمشق 2002. ص 80.

مرحلة التعليم الأساسي وتعليم اللغة الفرنسية بدءاً من الصف السابع، وهما مادتان إجباريتان في مرحلة التعليم ما قبل الجامعي. وفي المستوى الجامعي تدرس اللغة الأجنبية على مدار السنوات الجامعية كلها، إذ يركز على النواحي اللغوية في السنتين الجامعتين الأولى والثانية، ويركز على النواحي الوظيفية في ضوء اختصاصات الدارسين في السنتين الثالثة والرابعة.

ومن الإجراءات المتخذة أيضاً الإكثار من المبعوثين للاطلاع والبحث في الدول الأجنبية وإلزام الطلاب الذين يرغبون في التسجيل لنيل درجة الماجستير باتباع دورة مكثفة باللغة الأجنبية ونجاحهم بها، ويخضع الطالب الذي يسجل لنيل شهادة الدكتوراه إلى اختبار تقييمه الجامعة سنوياً في اللغة الأجنبية، ولا يتم التسجيل لنيل درجة الدكتوراه إلا بعد نجاحه في هذا الاختبار.

وعندما يكون الدارس متمكناً من اللغة العربية والأجنبية تغدو عملية اكتساب المصطلحات وفهمها وتمثلها والانتقال بها من لغة إلى أخرى عملية ميسرة وسهلة، وهذا يساعد في الارتقاء بمسيرة التعريب.

وفي عملية إعداد المدرسين الأكفاء لا بدّ من توفير مستلزمات هذا الإعداد من أجهزة ومعدات وكتب ومراجع ودوريات وتقنيات... الخ.

7. وضع مساق «وضع المصطلحات وتوليدها»:

على أن يكون متطلباً جامعياً أساسياً في الكليات الجامعية، ويتضمن بعض مفرداته الأصول التراثية في التخصصات المختلفة، وتوجيه الباحثين في معاهد التراث إلى اختيار موضوعات رسائلهم في الماجستير والدكتوراه من مجالات التراث العلمي العربي.

كما أن وضع مساق خاص بالترجمة في كل تخصص يساعد أيما مساعدة في عملية التعريب.

8. الإيمان والإرادة:

من سبل تذليل معوقات التعريب الإيمان به، فمن كان مؤمناً بالتعريب ومتحمساً له يذلل كل عقبة تقف أمامه. أما الأعذار التي يقدمها المترددون والمسوفون من حيث عدم توافر

الكتب والمدرسين والمصطلحات... الخ فلا يمكن أن تقف أمام ذوي الحزم والإرادة القوية،
ورحم الله شاعرنا العربي إذ يقول:

وما استعصى على قوم منالُ إذا الإقدام كان لهم ركابا

ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته:
«فلنتظر حتى تكون لنا أسلحة، فأجابه: تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، السلاح الأول
هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب».